وثائقية ـ يمكن أن تتركَ أثراً في تشخيص فوكوياما "للنظام العالمي الجديد" ضمن صيغ "الديموقراطية الليبرالية" الأمريكية التي تكاد تتوسّع لتبلغ حدوداً عالمية، وتحليله لرأسمالية السوق كمعالج كوني لكلّ العلل السياسية والإجتماعية. وحقيقة أنّ كل من الخطاب والواقع يقعان على طرفي نقيض هي فكرةٌ لاتستطيع بكل بساطة أن تدخل إلى رؤوس أولئك المعلّقين المنذورين إلى هذا الشكل الأخير من التفكير، هذه الرؤية لأمريكا وهي تشير إلى الطريق الذي يترتّب الآن على كلّ الأمم أن تسلكه. وبنفس الدرجة ـ من منظور رورتي مابعد الفلسفي ـ فإنّ براغماتيين من أمثال ديوي و جيمس يمثلون ذلك النوع من الحكمة التي تُشاهد بشكل خاطف (ولكن لسوء الحظّ قلّما يُحسب لها حساب) من قبل مفكرين ينتمون إلى التقليد الفكري الرسمي في الغرب بدءاً من سقراط إلى كانط، وهيغل، وهيدغر، وآخرين من الباحثين الجادّين عن الحقيقة.(٤٠) ذلك أنّ الرسالة واحدة في كلتا الحالتين: مامن مهرب خارج تلك القيم والمعتقدات التي تدخل في تركيبة المرء الثقافية والإجتماعية، وأية محاولة لانتقاد تلك القيم من موقع بديل (متمرّد) محكومة سلفاً إما بالفشل أو بالإفتقار إلى أبسط القواعد الأساسية للفضائل السياسية والأخلاقية، فضائل "التضامن" مع أعضاء يشتركون في المغامرة الفكرية ذاتها.

في حالة كهذه، يكون فوكوياما محقاً في افتراضه بأنه مامن شيء من الآن فصاعداً يتمتع بأية قيمة ـ كالعودة مثلاً إلى "الحقائق"، التاريخ، "المبادئ المجرّدة"، الفجوات القائمة بين أهداف السياسة المعلنة وتلك المضمرة، الخ ـ عندما توضع مقابل انبثاق "النظام العالمي الجديد" حيث تبدو بالمقارنة عديمة الجدوى. والإستثناء هو أن يكون المرء قاطناً في جزء آخر من العالم أقلّ شأناً وحظاً مايزال "عرضةً لصراعات وثورات دموية" بسبب التزامه بأفكار بالية من مثل التاريخ، الأيديولوجيا، "الإمبريالية الغربية" وماشابه. ولكن صراعات كهذه ـ سرعان مانُطمأن ـ سيكون لها تأثير ضئيل بما أنّ جدول الأعمال يتمّ